

التعاون طبيه في الخليقة

بقلم الأستاذ العالم الجليل

محمود خاطر بك مدير التعاون في وزارة الزراعة

من الأقوال البالغة المأثورة « أن الانسان مدنى بالطبع » يعنى أنه « اجتماعى بالطبع » والاجتماع لا ينتظم إلا بالتآزر والتعاون فهو لذلك « تعاونى بالطبع » وليس من الصعب أن أذكر لك المثل بعد المثل فى التدليل على ذلك ولكن الصعب أن أهتدى إلى مثل واحد أدلل به على وجود كائن فى الخلق غير مفتقر إلى سواه

روى أحد الفرنسيين فى تعريفه فضل التعاون أن زارعا جاءه فى منامه مغصبا وقال له : لن أزرع لك بعد اليوم فخذ أنت المحراث وهىء به غدامك . وجاء النساج قائلا له : لن أنسج لك بعد اليوم فاعمل وحدك ما تريده لنفسك من لباس وجاء البناء يقول له : لن أبني لك بعد اليوم مسكنا فأعده أنت وحدك . وجاءه كذلك كل من فى هذا المعنى ويزيد فاستيقظ الرجل مذعورا من هول ما رأى ولكنه حين أبصر كل شئ حوله مستقرا فى نصابه حمد الله وزال ما كان قد اعتراه من الروع فى عالم الرؤيا .

وقرأنا فى كتب الطفولة حكاية الوالد المحتضر يضرب لأرلاوه مثل العصي المجتمعمة لا يقوى على كسرهما أحد فاذا ما تفرقت سهل على كل إنسان كسرها واحدة بعد أخرى . كما قرأنا حكاية الرجل الأعشى يحمل المقعد فيتولى المقعد إرشاد الأعشى إلى الطريق متعاونين بذلك على تيسير أسباب العيش لهما بعد أن كان كل منهما بمفرده عاجز أعياها . إن كل فرد منافع ذاته مثل ناطق من أمثلة التعاون الصحيح . أليست الروح تدب فى الجسد فتكون ثمة حياة بتعاونهما معا فاذا افترقا وبطل ما بينهما من تعاون مشترك زالت تلك الحياة وزال أثرها .

وهذا الجسم الانسانى لو تأملته وجدته ينطوى على أمثلة من التعاون عدة فكم من عامل فيه يتعاون على إمداده بالقوة وتمكينه من البقاء . ولست أقف بك إلى تعاون الجسم الانسانى فى تركيبه بل أذهب بك إلى فضيلة التعاون

في الحيوان والنبات وتكون العناصر فهي كلها شاهدة بضرورته في الوجود.
انظر إلى جماعة النمل كيف تعاون على بناء مساكنها لزمان الشتاء وكيف
انها تجمع إلى هذه المساكن من القوت ما يكفيها طوال أيامة و أنها لم تؤثر ولم
ترض أن يفرد كل واحد منها بشأته في ذلك . و انظر إلى جماعة النحل كيف تعطيك
في تعاونها من عملها الشهي مالا تستطيعه الواحدة منها إذا عملت لحاجتك في معزل
عن جماعةها . فأنت أينما اتجهت وحيثما حللت لا تجد لهذه المخلوقات إلا الجماعات
تلو الجماعات تعمل في تعمل في تعاون .

وتكون الحديقة تهر النظر وتؤتي أطيب الثمر لا يكون إلا بتعاون الشجرة
مع الشجرة و الخيلة مع الخيلة كما تعاون سنابل القمح على هيئة محصوله الوفير وكما
يتعاون الزراع و المدراس و المدراس والعجبان و الخباز على تجهيز أرغفة الخبز لغدائنا
بعد أن تعاون قبلهم الصناع على إعداد عراشهم و نور جهنم و مطبخهم و ما إلى
ذلك بما هو في حقيقته سلسلة من التعاون حلقاتها متصل بعضها ببعض .
وتلك هي الفطرات من الماء التي تمطرها السماء رذاذا أظن القطرة الواحدة
منها تفعل ما يفعله مجموعها في انحداره بالوادية و جريانه بالأنهر فينعم به الإنسان
والحيوان ويحيى ميت الأرض .

و في أشعة الشمس عبرة كبرى للتعاون فانها وهي مشورة في الاقلاق لاتفعل
فعلها إذا ما جمعت بقوة العلم لتدير مختلف العدد و تشفي عاصي العلل .
و المقال الذي تقرأه الآن ألم يتعاون في سبيله كاتبه و مصححه و جامع حروفه
و طابعه بعد أن تعاون فيه قبلهم كثيرون ممن أعدوا لهم آلات الطباعة و صنع الورق .
و ذلك التراث التعاوني الذي تنعني به في كل ناحية والذي ندعوذ اليه من كل
جانب كم أمة وكم جيل تعاونوا على إظهاره لنا في أنظمتها الحاضرة .

وفي الكتاب الكريم : « تعاونوا على البر والتقوى و لا تعاونوا على الإثم و العدوان » .
وفي الحديث الشريف : « الله في عون العبد ما كان للعبد في عون أخيه » : وفي مأثور
القول عن سيدنا علي بن أبي طالب : « الناس بخير ما تعاونوا » .